الثلاثية الصدق والصفاء والإنصاف في الخلاف زينة الداعية إلى الله

ما أحوجنا إلى الصدق في الدعوة إلى الله، فإن التلون والتلاعب ريبة

الحمد لله رب العالمين، الذي أحصى كل شيء عددا وعلما، ولا يحيط خلقه بشيء من علمه إلا بما شاء، خضعت له تعالى الرقاب، وتضعضعت له الصعاب، أحمده عدد خلقه وكلماته، وملء أرضه وسمواته، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال، وأسمى المهام، وهي وضيفة الأنبياء والرسل، ومن اقتفى أثرهم من الجن والبشر، وهي تنبني على أصلين اثنين عظيمين. أولا: الدعوة إلى الله بإخلاص، ثانيا: إذن من الشارع في ربط الخلق بالخالق؛ قال تعالى: ((يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)) وتأمل في قوله تعالى: ((وداعيا إلى الله)) ومعنى ذلك من دعا الناس وربطهم بحزب أو طريقة، أو جمعهم حول فرقة محدثة، وجعل الولاء والبراء عليها فقد خالف هذا الأصل العظيم، وحري أن يقع في معرة الشرك والعياذ بالله، أما معنى قوله تعالى :((وداعيا إلى الله بإذنه))، فالمراد من الآية الإذن من الشرع في ربط الناس بالحق الثابت، فمن زعم أنه مخلص في دعوته إلا أنه اجتهد في إيجاد سبل وطرق يربط بها الخلق بالخالق كما هو شأن الفرقة المعاصرة، فمن كان هذا حاله فهو واقع في البدعة المنكرة، ومن هذه المقدمة نخلص بهذه القاعدة والتي هي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: (من دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إلى الله بغير إذن منه فقد ابتدع)

فإذا حقق الداعي إلى الله الأصلين العظيمين من ربط الخلق بالخالق عن طريق الشرع، وجب في حقه أن يكون متصفا بالصدق الذي هو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على شيء إلا بتره، ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه، والصدق في الدعوة إلى الله روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، وهو أساس الدعوة وعمودها، وهو فسطاط المتقين وساحة المجاهدين، وقد أخبر الله تعالى أنه يوم القيامة لا ينفع العبد ولا ينجيه من عذابه إلا صدقه مع ربه جل جلاله قال تعالى: ((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم .لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم))

طرحت هذا الموضوع الهام وإن كان سبقني إلى زبر فصوله علماء كرام، لما رأيته من بعض المتصدرين للدعوة إلى الله، وأخص بالذكر من كان معنا على الخط في دولة الإمارات وهم طلاب تخرجوا من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، أضف إليهم بعض المشاركين في العلوم الشرعية، حين لم يحققوا الصدق في دعوتهم إلى الله، وغلبوا جانب القياس والاجتهاد والمصلحة المزعومة، اضطربت أحوالهم، و لم تستو أفعالهم على الأمر والمتابعة كما يستوي الرأس على الجسد، فاختلى مخرجهم ومدخلهم، وشعروا بالذل والهزيمة، ورموا بأنفسهم في أحضان مجددي العصر من

المآربة، يبتغون عندهم العزة والنصرة، ونسوا أن يمتثلوا قوله تعالى :((وقل ربّ أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا))

وحقيقة الصدق في هذه الاشياء كما قال ابن قيم الجوزية: هو الحق الثابت، المتصل بالله، الموصل إلى الله وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال.

فدخول هؤلاء الطلاب في نصرة أبي الحسن المصري- على خبرتي بهم وعلم- أنهم لم يدخلوا في هذه المعركة نصرة للحق الثابت، سابحين في مرضاته، سائلين الظفر بأسمى المطالب، أقول هذا وأنا أعي ما أقول، بل كان دخولهم من باب خالف تعرف، وطلب الاستقلالية في إصدار الأحكام شبيها بقاعدة الجزأرة عندنا، والتي عبروا عنها بترك التقليد، وكان يقول بعضهم قد أجمعنا!! أن أبا الحسن لم يخطأ، ومن خالف الإجماع استحق العتاب، ورمي بالفتنة والخلاف، وكنت أقول لبعضهم إذا كان إجماع أهل المدينة ليس بحجة فكيف بإجماع شباب لم يتحصرم ساقهم ويقوى عودهم والله المستعان. ولما كان الحال هكذا تركوا الصدق في معاملة من يخالفهم، وجمعوا لضربه والتشريد به قول المعتوهين وناقصات العقل والدين، وترديدات السروريين، وإفرازات الحزبيين،و قيح الصوفيين، حتى اجتمع عندهم كوم من طينة الخبال، وهذا حال من يترك منزلة الصدق في الدعوة إلى الله فغاية سيره ظلم وجرم واعتداء.

ولما رأوا في الآونة الأخيرة خزايا المأربي قد طفحت فوق السطح، ولمسوا تلاعبه بالمنهج السلفي وأبنائه، ووجدوا أنفسهم متورطين إلى اليفوخة مع هذا الرجل العنيد المتكبر، صاروا يتململون في قيودهم الفكرية العفنة، ويقولون للسلفيين بصوت منخفض وعلى حياء: نحن لسنا مع المأربي، نحن مع العلماء، يرددون عبارات لا يعرفون معناها ومرماها.

أين الصدق يا طلبة العلم، لماذا لا تقروا بالمعصية، وأنكم عفنتم الدعوة في دولة الإمارات بسلوككم المعوج، ونصبتم العداء لإخوانكم السلفيين ووظفتم نفوذكم في إسكات أصواتهم، وإخراج بعضهم، فمهما ذكرتم من تبريرات فلن تغني عنكم شيئا، ما لم تعلنوا توبتكم واعتذاركم من إخوانكم السلفيين الذين آذيتموهم في دينهم ودنياهم، ولا ينفعكم أن تأتوا المشايخ في الحجاز بوجه، وتعترفون أمامهم أنكم تدينون المأربي، وإذا عدتم إلى دياركم أنكرتم ما قلتم، وقلبتم القول وخضتم في الذي نهيتم عنه، ما هكذا يكون الصدق في الدعوة إلى الله، ولا الصدق في التوبة، ولا الصدق في نية الصلح وجمع الكلمة.

إن الصادق حقيقة هو الذي قد انجذبت قوى روحه كلها إلى إرادة الله وطلبه والسير إليه، والاستعداد للقائه، والتوبة من زلاته، ومن تكون هذه حاله لا يحتمل سببا يدعوه إلى نقض العهد مع الله بوجه من الوجوه، لاسببا وطنيا، ولا جمعويا.!!

وفقنا الله جميعا للتحلي بالصدق في الدعوة إلى الله، فالصدق طمأنينة والكذب ريبة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

والحمد لله رب العالمين.

ثباتُ الداعي إلى الله ووضوحُه بصفاءِ منهجِه

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين كالخوارج المارقين، والمرجئة المفرطين، ودعاة الحزبية الزائغين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالدين الإسلامي كامل غير منقوص، وسالم من التبديل والتغيير والتحريف، فحُقَّ لأهل السنة أن يشكروا الله على هذه النعمة، وأن يعتزوا بعقيدتهم، ويتمسكوا بها، ويدعوا الناس إليها، ويردوا عنها شطاحات أهل الأهواء، وتلبيسات دعاة الباطل وناقلي الوباء.

وحتى يتمكن الداعي إلى الله من نشر الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وينفي عنه شبهات أهل الباطل يجب في حقه أن يكون واضحا في سلوكه وسيره إلى الله، ومتصفا بصفاء المنهج والنقاء، وإنما طرقت هذا الأمر لما رأيته ولمسته من بعض من يشار إليه أنه مرجع للشباب في القضايا المدلهمة، من غموض في المنهج، وتلون في المواقف، وتنقل غير محمود، وحب للرياسة والزعامة، وخوف من ذهابها، وذلك من خلال زيارتي لبعض المدن الجزائرية لنشر المنهج السلفي، والذب عنه وعن حملته من العلماء الأخيار، كالعلامة الألباني، وابن عثيمين، وربيع بن هادي المدخلي.

قلت:أحوال مقلقة لا تليق بمن يحمل منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فأردت من خلال هذه الشبكة الطيبة أن أذكر نفسي المقصرة وباقي إخواني الدعاة إلى الله بضرورة صفاء المنهج ونقائه من كل ما يشوبه ويسيء إليه من أقوال وأفعال وأحوال، حتى تستبين سبل المجرمين، ويتضح سبيل الحق.

ماهو الصفاء؟

((الصفاء هو الخلاص من الكدر الذي يجمع الطيب بالخبيث، وسقوط التلون والتردد والتذبذب))

وصدق من قال:

كل يوم تتلون ترك هذا بك أجمل

كيف يتحصل الداعي على صفاء المنهج ووضوح المواقف؟.

إذا ارتوى الداعي إلى الله من العلم الصافي، المتلقى من مشكاة النبوة على فهم السلف الأخيار، تهذب سلوكه للسير على طريق العبودية واتضح حاله للموالي والمعادي، وأمارة ذلك التأدبُ بآداب الإسلام، والوقوفُ مع الحق وتحكيمُه ظاهرا وباطنا، والمسيُر معه حيث سار به، والاعتدالُ والاتزانُ في الأقوال والأفعال والأحوال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في القواعد النورانية(ص49ط دار الفتح الشارقة): (فمتابعة الآثار فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور)

وأما والعياذ بالله إذا كان حالُ الداعي الخلطَ في التلقي، والتغذي بكل ما يجد من خبيث أو جيد، والاحتكاك بالمعاق والأجرب، فإن الأمر سيؤول به إلى فساد الحال والطبع، والوقوع في الكدر، والاتصاف بالتلون، وفقدان الصفاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاقتضاء(485/1ط الرشد) بعد ما بيّـــن خطورة التشبه بالمجرمين في أحوالهم وأعيادهم:(...و الشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويرويه مرفوعا((إنّ كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وإنّ مأدبة الله هي القرآن))[والأثر فيه مقال] ومن شأن الجسد إذا كان جائعا فأخذ من الطعام حاجته استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته له، ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه، ولذا تجد من أكثر سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن كثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه الاهتمام ونظير هذا كثير))اهـــ

وله كلام في ما بقي من الصفحات يكتب بماء الذهب لنفاسته فعلى الطالب باقتنائه.

وقال رحمه الله في درء التعارض(20/1) بعد ما بين أن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي((فإن الغذاء لا ينفعه-أي المريض -مع وجود الأخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء...))

قلت: وكل طالب علم اعتاد مجالسة أهل الباطل والاحتكاك بهم، والاختلاط بالعوام على الدوام مع مجاراتهم على سلوكهم النازل، والخوف من الرد على المنحرفين لكسب جانب من أتباعهم وأنصارهم، والاعتداد بالنفس ورفعها إلى مقام المرجعية الشرعية مع خوائها والأخلاط التي تحملها، ولّد فيه التلون والكدر والتنقل من حال إلى حال.

بعض ثمار صفاء المنهج المتلقى من الكتاب وصحيح السنة على فهم السلف.

-إن صفاء المنهج يصحح همة طالب العلم، ومتى صحت الهمة علت وارتفعت، فإن سقوط الهمة ودناءتها من علتها وسقمها، وإلا فهي كالنار تطلب الصعود والارتفاع ما لم تمنع كما قال ابن قيم رحمه الله.

-وصفاء المنهج يولد في طالب العلم رجولة فيدور مع الحق حيث دار، ومواقف مشرفة عند الفتن والإحن، فلا يخذل أهل السنة في أحلك المواقف. ولا يناصر المبطل لحاجة في النفس، بل تراه ثابتا كالجبل الأشم.

-وصفاء المنهج يرفع صاحبه إلى مقام التمكن، وهو ظفر العبد بنفسه، والإستقرار على الحق، فكم من طالب علم تائه من كثرة أخلاطه، ضائع بين الشواغل والغفلات، تائه مع أهل البطالات.

والحمد لله رب العالمين.

التعقل في مسائل الخلاف، ومعرفة المتفق عليه من المختلف فيه،
والاستدلال قبل الاعتقاد، مع تنقيح الخلاف لا مجرد حكايته
بحث موجز جدا ومستل من كتاب النبذ في آداب الطلب، مع شيء من التعديل

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طريق الهداية، وجعل أتباع الرسول عليها دليلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها عند الله عدّة ليوم الدين، وأشهد أن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، ورسوله الصادق الأمين.

أما بعد:

لقد ألفت انتباهي تعليقاتٌ قاصرةٌ من بعض المشاركين على بعض المقالات المنشورة على الشبكة، وأزعجني خلطهم بين المتفق عليه والمختلف فيه من المسائل، وهالني هجوم بعض المحشين على المبسوط بلا علم وحلم، فأحببت من باب الدين النصيحة، أن أكتب شيئا يسيرا في هذا الفصل، ترشيدا لهؤلاء الكتاب، وتبصرة لي ولمن غاب عنه هذا الأمر الجلل، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولا: مسائل الشرع نوعان: نوع محل اتفاق وإجماع بين أهل العلم، ونوع محل اختلاف ونزاع، وطالب العلم النبيه ينبغي له أن يعرف النوعين قبل أن يكتب شيئا على الشبكة، وحتى لا يخرج عن إجماع المسلمين فيأثم، أو يدعي اتفاقا في مسألة وهي موضع نزاع بين أهل الذكر.

-وينبغي في حقه كذلك أن يعرف اصطلاح أهل العلم في الإخبار بالإجماع، ومن يعتبر قوله في الخلاف ومن لا يعتبر، وأن يكون متمكنا من التمييز بين الإجماع المنطوق به والسكوتي.

-وطالب العلم إذا أراد أن يطلب فقه الخلاف وأن يحقق النزاع بين أهل العلم، ويعرف الراجح من المرجوح، فإنه ينبغي عليه أولا أن يطلب حكم المسألة المتنازع فيها من مصادرها الأصلية؛ وهي الكتاب والسنة الصحيحة على فهم السلف، ثم يتأمل بإنصاف في نزاع أهل العلم في ضوء أدلة الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله في مجموع الفتاوى(6/7): ((ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء، بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن مورد النزاع إلى الله وإلى رسوله خير وأحسن تأويلا، وأحسن عاقبة في الدنيا والأخيرة.))

- وكذلك يستحسن للناظر في مسائل الخلاف أن يتفحص الأقوال دون معرفة قائلها إن أمكن، فإن ذلك يقطع الهوى الخفي في الانتصار لقول من يميل إليه ويتعصب له، لأنه لو عرف قائل القول ربما استحوذ على تفكيره إمامةُ صاحب القول، وذكائه وجهاده في الذب عن السنة، وسمعته التي أطبقت الأفاق؛ فيكون ذلك حائلا ومانعا عن تنقيح القول عل الصورة المحمودة، بل وقد يتهم من يخالف إمامه الذي جعله حكرا على نفسه بسوء الأدب والتطاول.

قال العلامة السعدي في المناظرات الفقهية :((ومن فوائد ذلك أن الأقوال التي يراد المقابلة بينها، ومعرفة راجحها من مرجوحها أن يقطع الناظرُ والـــمُناظرُ النظرَ عن القائلين، فإنه ربما كان ذكر القائل مغترا عن مخالفته، وتوجب له من الهيبة أن يكف عن قول ينافي ما قاله))

ثانيا: معرفة الاستدلال قبل اعتقاد الحكم.

حذاري يا طالب العلم والهداية أن تقبل على مسائل الخلاف دون أن تتجرد من الذّوق وهوى الانتصار للقول الذي تميل إليه قبل الاستدلال واستفراغ الوسع في النظر في أدلة الأقوال الأخرى التي نطق بها أهلُ علمٍ نبلاء، وقد يكون عدم التجرد سببا للحيف، والتحريف، ولوي أعناق النصوص على وفق اعتقاد سابق، فمن وقع في هذه الصنعة الرخيصة يكون قد شابَه أهلِ البدع والعياذ بالله.

قال أبو محمد ابن حزم الظاهري في (مداواة النفوس ص84): (وإذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة قبل أن تتيقن بطلانه ببرهان، وأيضا فلا تقبل عليه إقبال المصدق به، المستحسن إياه قبل علمك بصحته ببرهان قاطع، فتظلم في كلا الوجهين نفسك، وتبعد عن إدراك الحقيقة....

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المجموع(62/3): (فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعا لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعا لقوله، وعلمه تبعا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين...)

-وعلى طالب العلم التوقي في النفي في الأحكام والمسائل، سواء ما يتعلق منها بالأحاديث النبوية، أو ما يتعلق بالآثار السلفية، فالواجب عليه الحذر في هذا الباب، لأن الإحاطة الكاملة في النفي متعسرة على العلماء فكيف على بعض الطلاب الذين ما قضوا وقتا لازما في تلقي العلم على يدّ العلماء، والبعض الآخر ما جالس عالما، ولا كحل عينيه برؤيته.!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاقتضاء: (إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه)

كيف وبعض طلاب العلم فقراء في باب الإثبات،.!!

وأقول إذا احتاج طالب العلم المتمكن إلى النفي فلينسبه إلى إمام مليء من أعمدة الاستقراء ليخرج من عهدة النقص.

لفتة مهمة جدا

الزم تفسير وفهم السلف للنصوص:

قال ابن تيمية رحمه الله في المجموع: ((الاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه طرق أهل البدع)) [[وقد جمعت مصنفا في هذا الباب أسميته((النصيحة في وجوب لزوم فهم السلف للكتاب والسنة الصحيحة، وأن أهل الحديث ليسوا هم الظاهرية الشحيحة)) يسر الله ظهوره.

ثالثا: يجب على طالب العلم المشتغل بالعلم وإيراد المسائل تنقيح الخلاف لا مجرد حكايته، وحكاية قائله من أهل العلم.

فالاكتفاء بمجرد سرد الأقوال، والإحالة على المراجع الكبار، لا يحصل به العلم ولا يعم به النفع، بل سبيل إلى التعمية والإغراب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة(282/5):(كثير من الناس يحكي الخلاف ولا يعرف الحق)

وقال رحمه الله في من كان هذا ديدنه وشأنه كما في الاستقامة(60/1): (بمنزلة حمار حمل سفرا ينقل نقلا مجردا)

وقال أيضا فيهم: (لكن هؤلاء ليسوا في الحقيقة فقهاء في الدين، بل هم نقلة لكلام بعض العلماء ومذهبه، والفقه لا يكون إلا بفهم الأدلة الشرعية بأدلتها السمعية الثبوتية من الكتاب والسنة والإجماع نصا واستنباطا)

وقال الشاطبي في الموافقات :(4/162) (وكلام الناس هنا كثير وحاصله معرفة مواقع الخلاف لا حفظ مجرد الخلاف)

وهذا ما أردت ذكره وتذكير الإخوة به، وفقنا الله وإياهم إلى كل خير.

وكتبه من الجزائر الغراء أخوكم أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي